

## المبحث الثاني: مدارس علم الاجتماع

### المبحث الثالث: التطور التاريخي لعلم الاجتماع

ليس من العسير علينا تحديد الجذور الفكرية الرئيسية لعلم الاجتماع، فقد نشأ هذا العلم كغيره من فروع المعرفة الانسانية بين احضان الفلسفة وترى في مهاتها حت اذا تكاملت قواه انفصل عنها واستقل بطرقه ومناهجه وبحوثه، وأصبحت الفلسفة ترجع اليه وتتبعث منه بعد أن كانت تمدّه وتغذيّه.

ويمكن القول بصفة عامة بأن علم الاجتماع له أصل رباعي يتمثل في الفلسفة السياسية وفلسفة التاريخ والنظريات البيولوجية في التطور، والحركات التي نادى بالاصلاح الاجتماعي والسياسي، وقد لعب كل من فلسفة التاريخ والمسح الاجتماعي دوراً عظيم الأهمية في المراحل الأولى بالذات وكانت من أحدث منجزات التاريخ الفكري للانسان.

وتتظر الفلسفة السياسية الاجتماعية الشاملة إلى المجتمع بوصفه كلاً شاملاً، فهي تؤكد هذا الطابع الكلي برغم اختلاف مظاهره وتحليلاته ثم تبحث عن الارتباطات المختلفة التي تشكل المجتمع، ولقد بدأت العلوم الاجتماعية كل بطريقته الخاصة -دراسة المظاهر والتجليات بهدف فهم هذا الكل في ضوء الضرورات التي تفرضها الطبيعة وبرغم ذلك فلقد كانت العمليات الطبيعية من أهم القوى المحركة للحضارات.

وذهب "دافيد هيوم David Hume" إلى أن الطبيعة تسهم في التأليف بين الكائنات الانسانية من خلال العلاقات الجنسية، أما المشاركة الوجدانية المتبادلة فتظهر داخل الأسرة في بداية الأمر ثم ما تلبث أن تتحول إلى عادات وتقاليد ثابتة بحكم طبيعتها يتصفون بالأنانية مما يتطلب ضرورة تهذيب هذه المشاعر الفردية. وقد أصبحت فلسفة التاريخ عاملاً فكرياً هاماً في اوائل القرن التاسع عشر، وذلك من خلال كتابات "هيجل وسان سيمون" وقد نبعت من هذين المفكرين أعمال كل من "ماركس" و"كونت" ويرجع الفضل إلى فلاسفة التاريخ أساساً في التصور الجديد باعتباره أكثر من مجرد المجتمع الانساني أو الدولة، وامتد اهتمامهم بحيث شمل كافة النظم الاجتماعية وفرقوا تفریقاً دقيقاً بين الدولة وما أطلقوا عليه اسم المجتمع المدني Civial Society فعلى سبيل المثال يذهب Vico في مؤلفه (العلم الجديد) إلى أن التطور الاجتماعي يعد عملية دقيقة يمكن فهمها واستيعابها، وأن كل الحضارات الانسانية لابد وأن تمر بمراحل ثلاث اساسية تتابع بانتظام بحيث تتجه من المرحلة الأدنى إلى المرحلة الأعلى، وأشار آدم فيرجسون Ferguson إلى أن التفكير في حد ذاته يعد مهنة في عالم يخضع لتقسيم العمل.

أما "فولتير **Voltaire**" فقد عرض لأول مرة وجهة نظر غير دينية في التاريخ العالمي، وتستند إلى قضيتين أساسيتين: الأولى أن التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي يمثل كلاً يضم مجموعة من الجوانب المترابطة المتساندة فيما بينها أما القضية الثانية فهي أن الحضارات غير المسيحية قد أسهمت في تطور الحضارة الانسانية كلها بوجه عام ويتمثل العامل الفكري الثاني في علم الاجتماع الحديث الذي يركز بدوره على مصدرين هامين هما:

١- الاقتناع المتزايد بأن مناهج العلوم الطبيعية ينبغي أن تتسع لتغطي مجال دراسة الشؤون الانسانية يمكن تصنيفها وقياسها.

٢- الارتباط بمشكلة الفقر (المسألة الاجتماعية) انطلاقاً من إدراك الحقيقة التي مؤداها أن الفقر في المجتمعات الصناعية لم يعد ظاهرة طبيعية بعد -كنقمة من الطبيعة أو من الله- وإنما هو نتيجة الجهل الانساني أو الاستغلال، وفي ظل هذين العاملين المؤثرين أخذ المسح الاجتماعي يحتل مكانة هامة في هذا العلم لدراسة المجتمع.

## أهداف علم الاجتماع

من العرض السابق يتضح لنا أن علم الاجتماع هو العلم الذي يعنى بدراسة النظم والظواهر والعلاقات الاجتماعية التي تنشأ عن حياة الانسان داخل نطاق المجتمع دراسة علمية واقعية وصفية تحليلية. والغرض من هذه الدراسة هي تحقيق عدة أهداف نظرية وعملية يسعى علماء الاجتماع للوصول اليها، فما هي طبيعة كل من هذه الاهداف.

### أولاً: الاهداف النظرية

وتتمثل في استخلاص النتائج العملية والقوانين العامة التي تخضع لها كل ظاهرة اجتماعية تنشأ نتيجة الافراد مع بعضهم وتتلخص فيما يلي:

١- دراسة المبادئ العامة التي يقوم عليها الاجتماع الانساني والدعائم التي ترتكز عليها.

٢- دراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها الظواهر والنظم الاجتماعية والوقوف على تطور الوظائف بتطور أنشطة الحياة الاجتماعية.

٣- دراسة تطور الحقائق والنظم الاجتماعية واختلافها باختلاف العصور.

٤- دراسة ظاهرة التغيير الاجتماعي والعوامل المؤثرة في تقدم المجتمع.

٥- دراسة الروابط الاجتماعية في كل مظاهرها واشكالها.

٦- الوصول إلى القوانين الاجتماعية التي تخضع لها ظواهر المجتمع لأن هذه الظواهر كغيرها من ظواهر العلوم تسير وفق قوانين وقضايا كلية يمكن الكشف عنها بالدراسة العلمية.

ولا شك في أن محاولة الوصول إلى القوانين العامة هي النقطة الأساسية التي تضيء على العلم الوجود الحقيقي وبها تستكمل الشروط الضرورية التي ينبغي توافرها لاستقلال العلم.

### ثانياً: الأهداف العملية

وهي التي يستفاد فيها نتائج الدراسة النظرية من أجل العمل على تطوير المجتمع ووضع خطط الإصلاح والتنمية بدلاً من الارتجال والعشوائية.

١- يفيدنا علم الاجتماع في دراسة مشكلات المجتمع والوصول إلى أنسب الطرق لحلها والتخفيف من حدتها وخطرها. إذ في ضوء الدراسة النظرية يستطيع الباحثون الاجتماعيون رسم خطط وتصاميم للإصلاح، وقد كان علماء الاجتماع الفرنسيون مثل لوبلاي من أوائل الذين اتجهوا إلى العمل الميداني الاجتماعي للكشف عن علل المجتمع والتخطيط لعلاج مشكلاته وفقاً للأسلوب العلمي.

٢- تفسير الأساس الذي يدفع إلى ظهور ما نشاهده والعلاقات القائمة بين العوامل المؤدية إليها.

٣- يساعدنا على القدرة على التنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبل الظاهرة من حيث حجمها ومدى انتشارها ودرجة تأثيرها وكذلك التحكم في النتائج والآثار التي قد تترتب عليها.

٤- يفيد غير المتخصصين فيه ممن يعملون في مهن ذات علاقة مباشرة بالتخصص في علم الاجتماع "الإدارة و الطب و القانون و الهندسة و رجال الاعمال و الضباط" حيث يمكنهم تطبيقها والاستفادة منها في ميادين أعمالهم المختلفة حيث سيدرك الواحد منهم أن السلوك الذي يصدر عن الإنسان مصدره ما نشأ عليه من قيم ومعتقدات داخل أسرته ومجتمعه الذي يعيش فيه ومهنته التي يزاولها ومستواه الاقتصادي والتعليمي، سوف يكون أقدر من غيره في التعامل مع الناس بحكمة وواقعية وأقدر على فهم مشاكلهم واحتياجاتهم.

٥- يساعدنا علم الاجتماع في كيف يفكر الناس أو كيف يتصرفون؟ وكيف تسيطر المجتمعات على ما يصادفها من تحديات وما تواجهه من تحولات؟ وكيف يعمل المجتمع ويعبئ طاقاته ويوظفها لخدمة أهدافه؟

٦- ومن خلال التعرف على الظروف والأوضاع التي يعيش فيها أفراد المجتمع يساعدنا على فهم أنفسنا كبشر وككائنات اجتماعية يمكن فهم تصرفاتهم وسلوكياتهم.

ورغم ما يوجد بين علماء الاجتماع من اختلاف في وجهات النظر وتباين في استعمال المفاهيم واختلاف في تصور رسالة العلم فهناك إجماع على أن علم الاجتماع قادر على تحقيق ما يلي:

١- يستطيع علم الاجتماع أن يساعدنا على فهم التجارب والخبرات والوقائع المختلفة فهماً عميقاً شاملاً من خلال وضعها في إطار البناء الاجتماعي الشامل للمجتمع، الأمر الذي يقودنا إلى الطريق السليم لفهم حقيقة أسبابها وطبيعتها وواقعها.

٢- القدرة على توعيتنا بنسبية القيم وعالمنا الخاص مما يعطينا القدرة أيضاً على فهم القيم وأساليب السلوك الشائعة عند أبناء مجتمعات وثقافات غريبة عن مجتمعنا وثقافتنا وتمكننا من الإحساس بحقيقة مشرع غيرنا من أبناء البشر.

٣- ويساعدنا على تفهم الطبيعة الدينامية لسلوكنا الاجتماعي وبناء مجتمعنا الحديث، وإلقاء الضوء على جذور حياتنا ومنتشأ الأحداث اليومية التي نعيشها والخبرات التي نحياها، والتي تعتبر الدراسة الكاملة بها والفهم المتعمق لها المنطق السليم لكل حركة نريد أن نتحكم في مسارها.